ذلك قولهم بافواههم

يتشدق مثله وكان مع بخله بالعلم لا يضن بمثل هذا انيركبوا فركوب الخيل عادتنا
او تنزلون فانا معشر نزل فانشدني لربيعة بن مقروم الضبي ولقد شهدت الخيل يوم طرادها
بسليم اوظفة القوايم هيكل فدعوا نزال فكنت اول نازل وعلام اركبه اذا لم انزل
وروي عن اسحق بن ابراهيم ايضا انه قال دخلت يوما الى الاصمعي وعندي اخ للعماني الراجز
حافظ راوية فلما دخل عبث به اخو العماني فقال له من هذا فقال هو الباهلي الذي يقول
فما صحفة ما دومة باهالة باطيب منه فيها ولا اقط رطب فقال له قبل ان يستتم كلامه
هو على كل حال اصلح من قول اخيك العماني يارب جارية حوراء ناعمة
كانها عومة في جوف راقود قال اسحق فقلت له اكنت اعددت هذا الجواب قال لا
ولكن ما مر بي شي الا وانا اعرف منه طرفا مجلس اخر تاويل اية ان سال سايل
عن قوله تعالى وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم
بافواههم فقال اي معنى لقوله بافواههم ومعلوم ان القول لا يكون الا بالافواه
الجواب قلنا القول يحتمل معنيين في لغة العرب احدهما القول باللسان والاخر
بالقلب فالقول الذي يضاف الى القلب هو الظن او الاعتقاد ولهذا المعنى ذهبت
العرب بالقول مذهب الظن فقالوا اتقول عبد الله خارجا ومتى تقول محمدا منطلقا
يريد ومتى تظن قال الشاعر اما الرحيل فدون بعد غد فمتى تقول الدار تجمعنا
اراد فمتى تظن الدار تجمعنا وقال الاخر اجهالا تقول بني لوي لعمر ابيك ام متجاهلينا
اراد تظن بني لوي وقال توبة بن الحمير الا يا صفي النفس كيف تقولها لو ان طريدا خايفا يستجيرها
تخبر ان شطت بها غربة النوى ستنعم ليلى او يقاد اسيرها اراد كيف تظنها فلما
كان القول يستعمل في الامرين معا افاد قوله بافواههم قصر المعنى على ما كان باللسان
دون القلب ولو اطلق القول ولم يات بذكر الافواه لجاز ان يتوهم المعنى الاخر ومما
يجوز ان يشهد لذلك قوله تعالى اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله
الاية فلم يكذب الله نعم قول السنتهم لانهم لم يخبروا بافواههم الا بالحق بل كذب بما يرجع
الى قلوبهم من الاعتقادات ووجه اخر وهو ان يكون الفايدة في قوله تعالى بافواههم
ان القول لا برهان عليه لانه باطل كذب لا يرجع فيه الا الى مجرد القول باللسان لان الانسان
قد يقول بلسانه الحق والباطل وانما يكون قوله حقا اذا كان راجعا الى برهان فيكون
اضافة القول الى اللسان يقتضي ما ذكرناه من الفايدة وهذا كما يقول القايل لمن يشك
في قوله ويكذبه هكذا يقول وليس الشان فيما تقوله وتتفوه به وتقلب به لسانك فكانهم
ارادوا ان يقولوا هذا قول لا برهان عليه فاقاموا قولهم هكذا تقول بلسانك وانما

يقولون

فردوا ايديهم في افواههم

جاءتهم رسلهم بالبينات

يقولون كذبا بافواههم مقام ذلك والمعنى انه قول لا يعضده حجة ولا برهان ولا يرجع فيه
الا الى اللسان ووجه اخر وهو ان تكون الفايدة في ذلك التاكيد فقد جرت به عادة
العرب في كلامها وما تقدم من الوجهين اولى لان حمل كلامه تعالى على الفايدة اولى من حمله على
ما تسقط معه الفايده تاويل اية ان سال سايل عن قوله تعالى الم ياتكم نبا الذين من
قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله الى قوله فردوا ايديهم في
افواههم فقال اي معنى لرد الايدي الى الافواه واي مدخل لذلك في التكذيب بالرسل عليهم السلام
الجواب قلنا في ذلك وجوه اولها ان يكون اخبارا عن القوم بانهم ردوا ايديهم في
افواههم عاضين عليها غيظا وحنقا على الانبيا كما يفعل المتوعد لغيره المبالغ في معاندته
ومكايدته وهذه عادة معروفة في المغيظ المحنق انه يعض على اصابعه ويفرك اناملة ويضرب
باحدى يديه على الاخرى وما شاكل ذلك من الافعال وثانيها ان تكون الها في الايدي
للكفار المكذبين والهاء التي في الافواه للرسل عليهم السلام وكانهم لما سمعوا وعظ الرسل
ودعاهم وانذارهم اشاروا بايديهم الى افواه الرسل ما يعز لهم عن الكلام كما يفعل
المسكت منا لصاحبه الراد لقوله وثالثها ان تكون الها التي في الايدي والتي في الافواه معا
للرسل والمعنى انهم كانوا ياخذون ايدي الرسل فيضعونها على افواههم ليسكتوهم ويقطعوا
كلامهم ورابعها ان تكون الهاء ان جميعا يرجعان الى الكفار لا الى الرسل فيكون المعنى
انهم اذا سمعوا وعظهم وانذارهم وضعوا ايدي انفسهم على افواههم مشيرين لهم بذلك
الى الكف عن الكلام والامساك عنه كما يفعل من يريد منا ان يسكت غيره ويمنعه عن الكلام
من وضع اصبعه على في نفسه وخامسها ان يكون المعنى فردوا القول بايدي انفسهم الى
افواه الرسل اي انهم كذبوهم ولم يصغوا الى اقوالهم فالها الاولى للقوم والثانية للرسل
والايدي انما ذكرت مثلا وتاكيدا كما يقول القايل اهلك فلان نفسه بيده اي وقع الهلاك به
من جهته لا من جهة غيره وسادسها ان المراد بالايدي النعم وفي محمولة على الباء والهاء
والها الثانية للقوم المكذبين والتي قبلها للرسل والتقدير فردوا بافواههم نعم الرسل اي
ردوا وعظهم وانذارهم وتنبيههم على مصالحهم الذي لو قبلوه لكان نعما عليهم ويجوز ايضا
ان تكون الها التي في الايدي للقوم الكفار لانها نعم من الله تعالى عليهم فيجوز اضافتها اليهم
وحمل لفظة في على معنى الباء جايز لقيام بعض الصفات مقام بعض تقول رضيت عنك
ورضيت عليك وحكي في لغة طي ادخلك الله بالجنة يريدون في الجنة فيعبرون بالباء عن
معنى في كذلك يصح ان يعبروا بفي عن الباء قال الشاعر وارغب فيها عن لقيط ورهطه
ولكنني عن سنبس لست ارغب اراد وارغب بها فحمل في على الباء وسابعها وهو

Copyright ... University